

بطولة الإمام الحسين (عليه السلام)



قال الحسين (عليه السلام): «أيها الناس إنَّ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: «من رأى سلطاناً جائراً مستحلاً لحرم الله ناكثاً لعهد الله مخالفاً لسنة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان فلم يغيّر ما عليه بفعل ولا قول كان حقّاً على الله أن يدخله مدخله) ألا وإن هؤلاء قد لزموا طاعة الشيطان وتركوا طاعة الرحمن وأطهروا الفساد وعطلوا الحدود واستأثروا بالفيء وأحلّوا حرام الله وحرّموا حلاله، وأنا أحقّ من غيّر، وقد أتتني كتبكم ورسلكم ببيعتكم، وأنكم لا تسلموني ولا تخذلونني، فإن أقمتكم على بيعتكم تصيبوا رشدكم، وأنا الحسين بن علي بن فاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) نفسي مع أنفسكم، وأهلي مع أهلكم، فلکم في أسوة، وإن لم تفعلوا ونقضتم عهدي وخلعتم بيعتي فلعمرى ما هي لكم بنكير، لقد فعلتموها بأبي وأخي وابن عمّي مسلم بن عقيل، والمغرور من اغترّ بكم، فحطّ لكم أخطأتم، ونصيبكم ضيّعتم: (فَمَنْ زَكَتَ فَلَا زَمَ لَا يَنْزَكُتْ عَلَايَ زَفْسِهِ) (الفتح/ 10). وقال (عليه السلام): «أثني على الله أحسن الثناء وأحمده على السراء والضراء، اللهم إنّي أحمدك على أن أكرمتنا بالنبوة وجعلت لنا أسماعاً وأبصاراً وأفئدة وعلمتنا القرآن وفقّهتنا في الدين فاجعلنا لك من الشاكرين، أمّا بعد فإنّي لا أعلم أصحاباً أوفى ولا خيراً من أصحابي، ولا أهل بيت أبرّ ولا أوصل من أهل بيتي، فجزاكم الله جميعاً عني خيراً، ألا

وَإِنِّي لَأُطَنُّ يَوْمَنَا مِنْ هَؤُلَاءِ الْأَعْدَاءِ غَدًا، وَإِنِّي قَدْ أَذْنْتُ لَكُمْ جَمِيعًا فَانْطَلِقُوا فِي حُلٍّ لَيْسَ عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِمَامٌ، هَذَا اللَّيْلُ قَدْ غَشِيَكُمْ فَاتَّخِذُوهُ جَمَلًا وَلِيَأْخُذْ كُلُّ رَجُلٍ مِنْكُمْ بِيَدِ رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي فَجَزَاكُمْ إِنْ جَمِيعًا، ثُمَّ تَفَرَّ قُوا فِي الْبِلَادِ فِي سَوَادِكُمْ وَمَدَائِنِكُمْ حَتَّى يَفْرَجَ إِنْ، فَإِنَّ الْقَوْمَ يَطْلُبُونَنِي وَلَوْ أَصَابُونِي لَهَوَا عَنْ طَلَبِ غَيْرِي». فَقَالَ لَهُ إِخْوَتُهُ وَأَبْنَاؤُهُ وَأَبْنَاؤُ إِخْوَتِهِ وَأَبْنَاؤُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ: لِمَ نَفْعَلُ هَذَا؟ لَنَبْقَى بَعْدَكَ! لَا أَرَانَا إِلَّا ذَلِكَ أَبَدًا! فَقَالَ الْحُسَيْنُ: يَا بَنِي عَقِيلٍ حَسْبُكُمْ مِنَ الْقَتْلِ بِمُسْلِمٍ، أَذْهَبُوا فَقَدْ أَذْنْتُ لَكُمْ. قَالُوا: وَمَا نَقُولُ لِلنَّاسِ؟ نَقُولُ: تَرَكْنَا شَيْخَنَا وَسَيِّدَنَا وَبَنِي عُمُومَتِنَا خَيْرَ الْأَعْمَالِ وَلَمْ نَرْمِ مَعَهُمْ بِسَهْمٍ وَلَمْ نَطْعَنْ مَعَهُمْ بِرِمْحٍ وَلَمْ نَضْرِبْ بِسَيْفٍ وَلَا نَدْرِي مَا صَنَعُوا؟ لَا وَإِنَّا لَا نَفْعَلُ وَلَكِنَّا نَفْعِدُكَ بِأَنْفُسِنَا وَأَمْوَالِنَا وَأَهْلِينَا وَنُقَاتِلُ مَعَكَ حَتَّى نَرُدَّ مَوْرِدَكَ، فَقَبِّحَ إِنْ الْعَيْشُ بَعْدَكَ! وَقَامَ إِلَيْهِ مُسْلِمٌ بَنِي عَوْسَجَةَ الْأَسَدِيِّ فَقَالَ: أَنْحَنُ نَتَخَلَّيْ عَنْكَ وَلَمْ نُعْذِرْ إِلَى إِنْ فِي أَدَاءِ حَقِّكَ؟ أَمَا وَإِنَّا لَا أَفَارِقُكَ حَتَّى أَكْسِرَ فِي صَدُورِهِمْ رَمَحِي وَأَضْرِبَهُمْ بِسَيْفِي مَا ثَبَتَ قَائِمُهُ بِيَدِي، وَإِنَّا لَوْ لَمْ يَكُنْ مَعِيَ سِلَاحِي لَقَذَبْتُهُمْ بِالْحِجَارَةِ دُونَكَ حَتَّى أَمُوتَ مَعَكَ. وَتَكَلَّمَ أَصْحَابُهُ بِنَحْوِ هَذَا، فَجَزَاهُمْ إِنْ خَيْرًا. وَقَالَ (عَلَيْهِ السَّلَامُ): «اللَّهُمَّ أَنْتَ ثَقْتِي فِي كُلِّ كَرْبٍ وَرَجَائِي فِي كُلِّ شِدَّةٍ، وَأَنْتَ لِي فِي كُلِّ أَمْرٍ نَزَلَ بِي ثِقَةٌ وَعَدَّةٌ، كَمْ مِنْهُمْ يَضَعُ فِيهِ الْفُؤَادَ وَتَقِلُّ فِيهِ الْحِيلَةُ وَيَخْذِلُ فِيهِ الصَّدِيقُ وَيَشْتُمُّ بِهِ الْعَدُوُّ أَنْزَلْتَهُ بِكَ وَشَكْوَتَهُ إِلَيْكَ رَغْبَةً إِلَيْكَ عَمَّنْ سِوَاكَ فَفَرَّجْتَهُ وَكَشَفْتَهُ وَكَفَيْتَنِيهِ، فَأَنْتَ وَلِيٌّ كُلِّ نِعْمَةٍ، وَمُصَاحِبُ كُلِّ حَسَنَةٍ، وَمُنْتَهَى كُلِّ رَغْبَةٍ». وَقَالَ (عَلَيْهِ السَّلَامُ): «يَا أَيُّهَا النَّاسُ اسْمَعُوا قَوْلِي وَلَا تَعْجَلُونِي حَتَّى أَعْظِيَكُمْ بِمَا يَجِبُ لَكُمْ عَلَيَّ وَحَتَّى أَعْتَذَرَ إِلَيْكُمْ مِنْ مَقْدَمِي عَلَيْكُمْ، فَإِنْ قَبِلْتُمْ عَذْرِي وَصَدَّقْتُمْ قَوْلِي وَأَنْصَفْتُمُونِي كُنْتُمْ بِذَلِكَ أَسْعَدَ وَلَمْ يَكُنْ لَكُمْ عَلَيَّ سَبِيلٌ، وَإِنْ لَمْ تَقْبَلُوا مِنْي الْعَذْرَ (فَأَجْمَعُوا أَمْرَكُمْ وَأَشْرِكَاكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ إِلَّا بِإِذْنِكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنْظِرُونِ) (يُونُسُ/ 71)، (إِنْ وَلَّيْتَنِي اللَّهُ السَّذْيَ نَزَلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ) (الْأَعْرَافُ/ 196)».